الصياغة المرجوة لنجاح التجربة العربية

إن الفقراء إلى جانب الأغنياء يربضون عند خط البداية استعداداً لسباق جديد ومروع إلى المستقبل.

الفين توفلر

(كاتب في علوم المستقبليات)

obeikandl.com

obeikandl.com

من استقراء ما سبق يظهر لنا :

- أن العالم العربي يقع ضمن منظومة مايسمى بدول العالم الثالث. أو الدول النامية، تلك المنظومة التي تفتقر للمشاركة الجادة في صناعة التقنية على المستوى العالمي، وتنحصر علاقته بها في إطار الاستهلاك الشره لمنتجات التقنية، يتابع تجدد صناعاتها وتنوعها مع كل موسم لها ويصرف جلّ موارده في اقتنائها.

- أن هذا الاستهلاك غير المنظم، والمتصاعد في الزيادة ينشط مع إيحاء موجات الإعلانات التجارية والدعائية المتفننة في العرض، الموجهة عبروسائل الإعلام المختلفة، والتي تمارس دورها في ترسيخ التبعية بأسلوب غير مباشر.

هذا الاندفاع الاستهلاكي سيشكل مع مرور الوقت خطراً على الهوية الثقافية، وعلى النظم الاجتماعية، والاقتصادية في الأقطار المستفيدة منها

ذلك أن التقنية ليست حيادية كما يتوهم، إنما هي صبغة مركبة. ترتبط بهوية البلد المنتج لها (فالاتجاه نحو الاستهلاك ا لترفي إذا استمر دون مواجهة تراكمت آثاره في شكل اكتساب عادات استهلاكية جديدة، تستقر وتنتشر على نحو يجعل التخلص منها في المستقبل غاية في الصعوبة)[1].

---

(١) عادل حسين وآخرون التنمية العربية .الواقع الراهن والمستقبل مركز دراسات الوحدة العربية ط٢ ١٩٨٥

- إن المشاركة العلمية المثمرة في تيار التقنية وصناعتها. بل والتحكم في توجهها وفق ظروف ورغبات الأمة ليس أمراً مستحيلا، أو حكراً على أمة أو شعب معين، وإنما هو أمر مشاع، يساهم فيه من لديه القدرة والرغبة.

وعوامل البناء تتحقق مع التوجه الجاد الصادق، النابع من قوة الطلب، وصدق العزيمة والرغبة الملحة، والاعتزاز بالهوية بكل سماتها ومعالمها.

بذلك كله تذلل كل العقبات وتستكمل كل الإمكانات. ويبقى سؤال مهمّ وملحّ...

كيف المسار العملي للبناء؟

في البدء يجب أن نعي ونكرر تأكيد أن التكنولوجيا وبريقها ليست هي الهدف المنشود بحد ذاتها في مشوار البناء، وإنما هي نتيجة وعائد يتحقق بعد عملية البناء الشامل.

(ذلك أن التكنولوجيا بحد ذاتها لاتبني حضارة، ولا تصنع تنمية. إلا إذا تصورنا أن الهوة الفاصلة بيننا وبين العالم المتقدم هوة اقتصادية خالصة وليست حضارية)[1].

---

(١) هيرمان كان وآخرون ـ العالم بعد مائتي عام ـ ترجمة شوقي جلال ـ عالم المعرفة الكويت رقم الكتاب ٥٥ رمضان. شوال ١٤٠٢ص ٢٥.

ثم لا بد من إدراك أن الدرب شاق وطويل، وأن درجة النجاح والاكتفاء نسبية، وأن النقص والإحتياج يشكل ثغرات في مكانة الأمة الحضارية .يتعاظم ويقل حجم هذا النقص حسب الضرورة ومقدار الطلب.

يقول أحد المفكرين (لا يمكن أن تكتمل الدورة التكنولوجية من جميع الفروع مثلما تفعل الدول الصناعية الكبرى، لذلك لابد من تركيز الجهود على عدد من القطاعات المرتبطة بعناصر التنمية المتاحة في الدولة. من زراعية، أو صناعية، أوتعدينية، أو غيرها. بحيث يوجد ارتقاء وتفوق في عدد قليل من الفروع ذات العلاقة الوثيقة بالمجتمع واقتصادياته ومستقبله، بينما بالنسبة لباقي الفروع يكتفى بتكوين المستويات اللازمة لحسن اختيار التكنولوجيا الخارجية وتطويع ما يناسب منها للتطبيق الخارجي)[1].

فالمسار العملي للمشاركة والبناء يتم من خلال عدة قنوات أهمها :

أ ـ الإلتزام بالإسلام منهجا في الحياة.

لكل أمة مسار وهدف، وبدون رسم الهدف تطول المسافة. وتضل الطريق، وأمتنا أعزها الله بالإسلام، وتكفل لها بالنصر والتمكين في الأرض في كل عصر إن هي التزمت بهذا الدين قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

---

(١) د/ إبراهيم حلمي عبد الرحمن وآخرون تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي ـ ندوة. مركز دراسات الوحدة العربية. ديسمبر١٩٨٥ ص ٤٠٥.

الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (١).

ويقول الرسول ﷺ: ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي، كتاب الله وسنتي)).

والإسلام باعتباره تنظيماً للتوجه الحضاري - ضمن رسالته الشاملة والسامية - جاء ليؤكد قدرته وصلاحيته على ذلك في كل وقت وحين، لايتوقف عند فترة أو زمن محدد، يمجد العلم وأهله، ويأمر باستمرار عملية التطوير، والأخذ بأسباب القوة في كل متطلبات الحياة ويسخر من الركود والتخاذل.

يقول تعالى: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ (٢) ويقول تعالى: ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ (٣).

إنه لا مسار صائباً ومثمراً لهذه الأمة مع البعد عن المنهج الإسلامي وتنظيمه، ذلك أن فيه كل مقومات الحياة البناءة، إذ فيه تزكية النفس قبل الانطلاقة. والإخلاص والتفاني أثناء الأداء، لا مماطلة أوخداع ضد الغير، ولاذاتية مفرطة في ساحة العمل.

---

(١) سورة النور، الآية ٥٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٣) سورة مريم، الآية ١٢.

يقول أحد الكتاب في التأكيد على دور الإسلام عند البناء : (إن الخروج من أزمة التخلف الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية .لا يمكن أن يتحقق بأدوات حضارية مقطوعة الصلة بالإسلام وحضارته، وثقافته، ونظامه القيمي... إن الإسلام ينطوي ـ حقيقة ـ على أدوات النهضة وشروط التقدم، ولكن ظروفا تاريخية بالغة التعقيد دفعت بالشعوب الإسلامية، وبكثير من روافد الفكر الإسلامي بعيداً عن اكتشاف القيمة الكبرى التي يمنحها الإسلام لهذه الأدوات كلها، ومن ثم فإن ظهورها من جديد، وتقديمها للناس في وضوح. في ارتباطها العضوي بالتصور الإسلامي الشامل للإنسان ودوره لاتزيد أن تكون حركة تصويب وتصحيح، واكتشافاً ثانياً للتراث، في إطار نظرة وظيفية غير شكلية للإسلام ومبادئه وشرائعه وآدابه)[1].

ب ـ التوجه العام والجاد في البناء.

يساهم في هذا التوجه – بالدرجة الأولى – القطاعات الرسمية صاحبة القرار الأول في الأمة، تتبنى هذا الأمر خطةً رسمية معتمدة متجددة، تخصص لها البنود المالية والتنظيمية، وتجابه أي عرقلة تعترض المسار، ليكون هذا الأمر همها وقضيتها الأولى.

---

(١) د/ أحمد كمال أبو المجد ـ المسلمون وثقافة العصر. سلسلة كتاب العربي رقم ١٤ يناير ١٩٨٧.

إن دولة صحراوية كالمملكة العربية السعودية. تفتقر للأنهار، وللخبرة في مجال الزراعة الواسعة القائمة على الميكنة. استطاعت بفضل الله ثم بفضل العزيمة من أبنائها والقرار الحاسم الشعبي والرسمي القائم على التشجيع، وتسهيل الإمكانات. أن تكتفي ذاتياً من محصول القمح. لتتجاوز بعد ذلك لمرحلة التصدير الخارجي.

تقف بثقة شامخة أمام الدعاوى الخارجية المغرضة، التي حاولت عرقلة المشروع وهذا التوجه من أجل أن يبقى هذا البلد تحت رحمة المزارع والاقتصاد الأجنبي[1].

إن اليابان عندما عزمت على ركوب موجة التصنيع الحديثة، والوصول للريادة العالمية. لم يثبطها وضعها القائم الكئيب آنذاك، وإنما انطلقت في الأفق، وتجاوزت الإمكانات، وجعلت أساس البناء ثروتها البشرية، فسطرت ذلك المرسوم في نظام حياتها العامة.

---

(١) وصل إنتاج القمح السنوي في المملكة العربية السعودية عام ١٤١٢. قرابة ٤ مليون طن.
قد يقال إن لتلك التجربة سلبياتها، أو أن ذلك لا يمكن تحقيقه مع الدول التي تفتقر لرأس المال الممول للمشروع، لكن ذلك غير مبرر. فالسلبيات ستضمحل مع الخبرة المكتسبة، كما أن رأس المال يمكن توفيره من خلال المشاريع المطروحة للمساهمة .وبنجاح تجربة الاكتفاء من محصول القمح اتجه المزارع السعودي بتوجيه من الجهات الرسمية إلى سياسة تنويع المحاصيل الزراعية ليحقق الاكتفاء في نماذج ومجالات أخرى.

(إن ميزان القوى في العالم قابل للتغيير، وإلاّ لمابرزت اليابان وكوريا والصين. وغيرها من القوى التي يكثر نفوذها يوماً بعد يوم وتزيد قوتها بجهد أبنائها وعراقتهم)[1].

والمواطن العربي لايقل حماساً ومواطنة وعاطفة عن غيره من الشعوب إذا وثق واقتنع بالخطط المرسومة وبنتائجها المستقبلية. ودعّم بالإمكانات التي تحقق له طموحاته.

فهو يبحث عن هويه اقتصادية ترفع عن كاهله ثقل المديونية العالمية التي مصدرها منتجات استهلاكية قادر على توفيرها، تدفع به لميدان الاكتفاء والمفاخرة، وخير دليل على ذلك ماحققه أبناء الوطن العربي في الغربة أو مايطلق عليهم بالعقول المهاجرة، عندما هيئت لهم الإمكانات والبيئة الخصبة، حيث نبغ فيهم المهندس والطبيب وعالم الإلكترونيات والخبير الاقتصادي ورجل الأعمال وعلى مستوى عالمي.

فهل نبدأ المسيرة، ونعلن الانطلاقة مدوية في الأفق، ليتردد صداها، وتنمو مع حركة عقارب الساعة؟

لنخلط هذا الهمّ. وهذا التوجه مع رضعات أطفالنا. ومع دروس ناشئتنا. وتطلعات شبابنا وحكايات كهولنا.

---

(١) د/ محمد الأحمد الرشيد من معالم استشراف المستقبل في الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين. مجلة رسالة الخليج العربي ٢٥، سنة ١٤٠٨.

بذلك تكون بداية الانطلاقة المنتجة، ويكون التوجه العام الصائب. على المستوى الرسمي والشعبي

إن من سمات التوجه المثمر.

الانفتاح على التجارب العالمية والدخول في ميدان مبادلة الخبرات وتبني عقد اللقاءات والمؤتمرات المتخصصة، و الاطلاع على التقارير العلمية، وإعفاء الأجهزة والمعدات الصناعية المتطورة من الرسوم الجمركية، وكسر حواجز براءات الاختراع والتصنيع بالطرق النظامية، وبعث الوفود الفنية لزيادة التدريب، والتعامل الإيجابي مع الخبراء الوطنيين وتسهيل طرق اتصالهم بالمراكز الدولية من أجل تبادل المعلومات، والاهتمام بالتقارير والدراسات والبحوث المقدمة من المراكز العلمية، وهدم حيطان الأرشيف العام، ومنح القروض للاستثمارات العلمية .ثم أولاً وآخراً الإيمان بأهمية الأعمال الفنية والمهنية وإنزالها المكانة اللائقة بها

ج - انتهاج مبدأ الانتقاء في المسار الحضاري.

لا بد من استيعاب تيار الحضارة وتجدده المتدفق، والمساهمة في صناعته

ولعل أولى الخطوات إلى ذلك تكون من خلال: التخطيط المدروس، والاقتباس المشروع.

فالتخطيط يحقق الإنتاج الوطني الذي ينبع من قدرات أبناء الأمة، ويعمق الانتماء لدى الناشئة.

والانتقاء من مكونات وإبداع الآخرين يمول الاحتياج، ويولد الخبرة، ويوسع المدارك، ويبدد العزلة شريطة ألايطغى ذلك على الإنتاج الوطني

- كما ينبغي إدراك (أنه ليس للتنمية المستقلة نموذج واحد، وإنما يتعين على كل شعب أن يجد بنفسه طريقة إلى تحقيقها مستفيداً من تجارب الآخرين، فالتاريخ لايكررنفسه، وكل تقدم في تاريخ البشرية تم في ظروف محددة لايمكن اصطناعها من جديد، والمحاكاة لن تقود إلى أي نجاح يذكر، وإذا سلمنا جدلاً بنجاحها فإن ثمرة هذا النجاح سيكون إنمحاء الشخصية الحضارية بما تمثله من قيم ومعتقدات)[1].

والأمثلة على تلك الصورة المذكورة تأكدت في نماذج دول شرق آسيا التي حققت مراكز مشهودة في الصناعة، حيث تفاوتت تلك الدول في نظرتها لتيارالحضارة الغربية. منها ما فتح الباب على مصراعيه فسمح لكل الأنماط بالولوج. فكسبت تلك الدول التقنية وخسرت بعض معالم هويتها، ومنها ما انتهج أسلوب الانتقاء. فاحتوى ماتطلب الأمر اقتباسه، وصد ماسيعكّر صفو التراث والقيم. ولعل خير نموذج للقسم الثاني تجربة اليابان المعاصرة.

---

(١) عادل حسين وآخرون التنمية العربية. الواقع الراهن والمستقبل مرجع سابق ص ٢٠٤

أما تجربة العالم العربي فهي غير منظمة أو محكومة بمسار. لقد نادى أشهر المفكرين العرب المعاصرين - قبل أكثر من أربعة عقود - في عبارة بفتح الأبواب دون تحفظ كشرط لنجاح التجربة العربية المأمولة إذ يقول: (أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها. حلوها ومرها. ومايحب منها وما يكره. وما يحمد منها وما يعاب ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع)[1] فلم يتحقق الاستيعاب، ولم تتم سلامة الهوية.

- إنه عند الاقتباس يجب أن ندرك أن (التكنولوجيا ليست من المعطيات المحايدة التي يمكن أن تنتقل من مكان إلى آخر، أو من بلد إلى بلد آخر، مع احتفاظها بكل خصائصها وإمكاناتها، وإنما تتحدد التكنولوجيا بمجموع ظروف

---

(١) طه حسين المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين. المجلد التاسع.علم التربية. دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٧٣ط ١ ص ٥٤ ومما يجب إيضاحه أن بعض الادباء أكدوا تراجع الدكتور طه حسين عن بعض آرائه التي تبناها فترة تكوينه الثقافي في شبابه.. جاء ذلك على لسان الشيخ محمد حسين زيدان رحمه الله تعالى في أحد لقاءاته العلمية. وفي مقال للدكتور محمد رجب بيومي يتضمن رداً للدكتور طه حسين على توفيق الحكيم الذي نال من الحضارة العربية. ودعى الى فك ارتباط الشخصية المصرية بها في خطاب موجه للدكتور طه حسين عن ثقافتنا. (مجلة الهلال ديسمبر١٩٩٥ ص ١٤٦) إلا أنه لم يرد عن طه حسين نفسه شيئ من ذلك حسب علمي. وإنما استشهدت بالرأي لتوضيح موقف أبناء الجيل السابق والذي قد يوجد له امتداد بين بعض أبناء الجيل الحاضر.

البلاد التي تبتدعها وبالاحتياجات والأهداف التي تتوخاها المؤسسات الاقتصادية التي تستخدمها)[1]

إن الحضارة التي بناها الغرب وجنى بعض ثمارها، وبلغ بها المنزلة المشهودة في وقتنا الراهن لم تسلم من بعض الجوانب السلبية التي انعكس آثارها على حياة مجتمعاتها المعاصرة ولدى العرب الفرصة في تلاشي تلك السلبيات والخروج فقط بخصائصها الإيجابية إن هو أراد ذلك.

يقول الدكتور أحمد كمال أبوالمجد في تقديمه لكتاب عن عالم الغد: (إن قراءة هذا الكتاب تضع القارئ العربي في موقع أفضل من القارئ الغربي، وذلك أنها تتيح له أن يتأمل، وأن يفهم ظواهر وصدمة المستقبل وهي تحل بعيداً عنه وبمجتمعات غير مجتمعه فيتهيأ لها ويعد نفسه لعلاقاتها، ويطرح ـ وهو لايزال في سعة من أمره ـ عديداً من الأسئلة التي تتصل بمشكلات الحفاظ على قيمه الإنسانية والفكرية والاعتقادية. وسط هذه الثورة الصاخبة التي تموج بها الحياة وهي تندفع إلى المستقبل اندفاع الإعصار الذي يجتث القواعد ويقتلع الجذور)[2].

فالمدنية الغربية خلّفت في مسارها عدداً من الجوانب السلبية التي داهمت مجتمعاتها، وأقظّت كيانها. كضريبة لتلك الموجة الحضارية وذلك النجاح.

---

(١) سعد زهران. العالم الثالث يفكر بنفسه. دار ابن رشد للطباعة والنشر ط ١، ١٩٨١ ص ٦٩

(٢) الفين توفلر ـ صدمة المستقبل ترجمة محمد علي ناصف ـ نهضة مصر يوليو ١٩٧٤ من التقديم.

من تلك السلبيات. ذلك الصراع النفسي. الذي يعاني منه أعداد جمة من الأشخاص بمختلف الفئات والمستويات، وتفشي الأمراض النفسية والعصبية والعضوية نتيجة ذلك، ورواج المخدرات وإدمانها وارتفاع نسب الجرائم بمختلف أشكا لها، وسيادة الذات والسباق المسعور نحو احتواء المادة وطرق اكتسابها، إضافة للفراغ الروحي الذي ظهرت بوادره وآثاره مؤخراً في موجات الصخب في الشارع الغربي عامة.

في وثيقة تعليمية صريحة من الولايات المتحدة الأمريكية، أصدرتها وزارة التربية والتعليم. والبيت الأبيض الأمريكي معاً جاء فيها.

(إن كل واحد منا هو على وعي ومعرفة بهذه الظروف، لكن عددا قليلا من الأمريكيين يرى أن مثل هذه الظروف متعلقة بهم، ومترتبة عليهم، فنحن نتيجة للقول « إنه قد تكون الأمة في خطر ولكن أنا نفسي بخير »، فالتهاون والإهمال أو التقبل السلبي أمور منتشرة لدينا كأفراد بالنسبة لمدارسنا وأطفالنا وبيئاتنا المحلية)[1].

لذا لابد من مراعاة أمرين:

١- أن البداية تتم من حيث انتهت المجتمعات المنتجة مع ضرورة انتهاج ايسر الطرق الموصلة إلى ذلك ا لهدف وأضمنها، ولايشك أحد بأن ثورة المعلومات من الأسباب الموصلة إلى ذلك، فلا يمكن تجاهلها.

---

(١) آليات التخطيط الشامل مرجع سابق ص ٣٤

(فالثورة العلمية وثورة المعلومات الجديدة تشكلان تحدياً إنسانياً للإنسانية بكاملها، ولا مكانة لأمة في عالم الغد القريب إذا تجاهلت هذا التحدي الذي نادراً ماعرفت البشرية تحدياً مماثلاً له)[١].

أما الطريق الموصل لتيار المعلومات المتجدد. فهو تشجيع البحوث العلمية، وتبني نتائجها ـ كما سبق ـ (لقد أوضحت التجربة والخبرة أن الاستثمار في البحث العلمي هو من أفضل أنواع الاستثمار. لما يحققه من عائد إيجابي مباشر في التنمية، فضلا عن ارتفاع معدل هذا العائد عن غيره من الاستثمارات العامة والخاصة... نتيجة لذلك فإن حداً أدنى من الاستثمار في البحث العلمي يجب أن يتفرد لمجرد الاحتفاظ بالمستوى الموجود، وللحيلولة دون الرجوع إلى الخلف، إذ أن أي دولة تتوانى أو تتباطأ في استخدامها أحدث طرق الإنتاج. لابد أن تتعرض منتجاتها إلى التخلف والكساد في الأسواق العالمية)[٢].

٢ ـ أنه لكي ينجح أي استنبات للتقنية لابد أن تتفق تلك النبتة مع إمكانات وحاجات وطبيعة البيئة المحلية المستقبلة لها، فهي التي ستحتضن جذورها وتتبنى خططها وتستثمر عوائدها والاصطدام بذلك سيقلب الجهد المبذول والإمكانات المسخرة إلى هدر.

---

(١) إنطونيوس كرم مرجع سابق.

(٢) محمد سيد أحمد حنفي الأمن الغذائي في الوطن العربي حتى عام ٢٠٠٠ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ط ١ عام ١٩٨٥م.

د ـ تدعيم التكامل الإنمائي بين الأقطار العربية.

يتحقق هذا الأمر من خلال :

١ - **التوجه الجاد والصادق** بانتهاج طريقة واقعية، تستفيد من المحاولات والتجارب السابقة للأمة ولايشترط أن تلتزم بها إجمالا ، وتقوم على مبررات التكامل من واقع الحاجة لاتؤججها العاطفة. بل الإحتياج الملح ، ولاتقودها شعارات براقة.

تكاملاً واقعياً تقود أسسه ونتائجه لمتطلبات المستقبل قبل الحاضر ، تنطلق من حس صادق يغذيه الواقع ، ويؤججه الضمير الحي المستمد قوته من الإيمان بالله تعالى ومن الإسلام منهجا ومسارا .

٢ ـ يمكن أن يستفيد ويستسقي في مساره من تجارب إقليمية أثبت الواقع العملي والزمن نجاحها داخل الوطن العربي ـ كتجربة التكامل القائمة بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي والتي تتسع دائرتها التكاملية في جميع المجالات الحيوية ـ أوخارجه كنموذج الوحدة والتكامل للأمم الأوربية التي بدأت مع مطلع عام ١٩٩٢ .

٣ ـ لامانع من التدرج مبدئياً في تطبيق مشروع التكامل العربي حسب أهمية القضايا ودرجة الحاجة اليها ، فلا مانع في البداية من التكامل الإعلامي لمجابهة البث الإعلامي الخارجي المتدفق، بأسلوب عملي وفعّال، أو في قطاع التعليم من خلال توحيد المناهج والبرامج والخطط التربوية، أو في الاقتصاد .

٤ ـ في بعض جوانب الحياة. هناك أمور يقتضي الواقع استثناء ها وإخراجها من دائرة التكامل حسب طبيعة البلد وخصوصياته، وظروفه، وإمكاناته.

هـ ـ الاهتمام بالدراسات المستقبلية.

لا بد من الاستعداد للعقود القادمة. والتي تنبئ أجهزة الرصد والتحري بأن الحياة العامة خلال المستقبل المنظور على الأقل ستتغير معالمها، وأنه لامكانة ولا تأثير للمجتمعات التي لاتساهم في تلك المتغيرات. فعلى ضوء تلك التوقعات ستتغير مراكز القوة والعوامل المؤثرة في بنائها وتشكيلها.

فالثروات الطبيعية لن تكون العامل الحاسم في تطور المراكز الصناعية، وسبل النقل والاتصال القائمة الآن ستصبح تقليدية. عاجزة عن إشباع حاجة الإنسان وخدماته. والمدارس والمؤسسات الثقافية القائمة الآن قد يظهر ما ينافسها من مراكز ومؤسسات تستجد على الساحة العامة فتنتزع منها وظيفتها التقليدية وقد تعتمد على المد الإعلامي الزاخر آنذاك والذي لايحول دون انتشارمواده وبرامجه أي عائق أوتكلفة.

باختصار، سيكون نمط الحياة خلال العقود القريبة القادمة ـ بمشيئة الله ـ مختلفاً عن نمط الحياة القائمة الآن.

لقد أدركت كثير من الدول تلك الحقيقة. وبدأت تعد العدة لتتبوأ مركزا لائقا بها. فأقامت بعض المراكز والهيئات التي تعنى بهذا الأمر. كما ضمنت المناهج

الدراسية في التعليم العام بعض المقررات والوحدات الدراسية التي تؤهل الناشئ للتفاعل مع الحياة الجديدة وتجنبه من الصدمة الحضارية القادمة.

وعالمنا العربي: هو جزء من ذلك العالم لن يعزل بغير إرادته عن المشاركة والتأثير وتبوؤ مكانة مناسبة له. فلا بد من أخذ الأمر بصدق وجديَة لتكون مشاركته فعَالة. لاتقتصر على الاستهلاك الشره ويكون عالة على المجتمعات الأخرى التي أعدَت العدة لذلك.

أما المطلوب لتلك المرحلة فهو:

- الإرادة الصادقة التي لا تقف عند أي عقبة أو إحباط .بل تنطلق بإيحاء من المسئولية يدفعها إلى ذلك سواعد الأبناء لاخبرات الأجانب.

- التركيز على الأبحاث العلمية. واستغلال تيار المعلومات العلمي المتجدد وتوظيف كل ماينا سب منها لواقعه.

- تضمين المناهج والمقررات الدراسية في التعليم العام والعالي بعض المقررات والوحدات التي تتطلبها المرحلة خاصة ما يخدم مجال علم المستقبليات والخيال العلمي الموصل للإنجاز والإبداع والابتكار.

- تحليل الصورة القائمة للواقع العربي من خلال منهج واقعي يتكئ على المصداقية. والخروج بنتيجة تعمل على إبقاء الجوانب الإيجابية والمرتكزات الأساسية للأمة. وتستبعد عوامل الخلل وتسد النقص.

و ـ الاهتمام بمستوى التعليم.

التعليم في جوهره ووظيفته عملية بناء واستثمار، تستهدف عقلية الناشئة من أبناء الأمة بمختلف مستوياتهم وأجناسهم. ليتحقق من تلك العملية تكوين الشخصية السوية المبدعة القادرة على التفاعل مع الحياة وفق الأهداف المرسومة (إنه لا يمكن ازدهار صناعة حديثة متقدمة على يد شعب أمي)[1].

لقد أمكن في فصل سابق من هذا الكتاب تحديد مستوى التعليم في عالمنا العربي، وتم الوقوف على مدى الحاجة الملحّة لتطويره.

شدتني وثيقة رسمية صدرت عن وزارة التربية والتعليم الأمريكية والبيت الأبيض معاً، شارك فيها رئيس الجمهورية السابق شخصيا، أكدت الوثيقة على قدرة التعليم في استمرارية القوة الأمريكية وصدارتها الدولية

ولأهمية ماجاء في الوثيقة، ولإمكانية الاستفادة منها .نقتبس منها هذه الأسطر:

(إن الأداء التعليمي الأمريكي يجب أن يكون متقدماً على كل أداء آخر في القرن الواحد والعشرين، فالتعليم مسألة جوهرية في تحديد نوعية وكيفية حياتنا، وهو في قلب قوتنا الاقتصادية، وأمننا وقدرتنا الإبداعية في الفنون،

---

(١) عادل حسين مرجع سابق.

ولقدرتنا على الابتكار في العلوم، والإبقاء على قيمنا الحضارية. إن التعليم هو مفتاح مقدرة أمريكا على التنافس على المستوى الدولي)[1].

تلك الآراء المطروحة نبعت من الإحساس بالحاجة، ومن الرصد الدقيق قبل أن تصدر رسمياً وتطرح كقضايا للدارسين والمهتمين وبقضايا التعليم وسبل إصلاحه وتطويره.

إن بعض الآراء التي وردت في الوثيقة الآنفة الذكر ينبغي تحليلها وتقصي بنودها، لأن فيها ما يتلاءم مع قضايا التوجه العربي[2].

وهدفنا لن يقف أمام الظروف الجاثمة والخطط القصيرة.

فإذا كانت تلك الدول التي بلغت في التقدم الحضاري شأنا. تحرص على استمرارية التفوق والريادة. وتجعل من التعليم غاية وسبيلا. تحتكم اليه، وتفتش عن مكامن الخلل في برامجه[3] فالأمر لدينا أشد حاجة وأكثر مطلبا.

---

(١) ملحق رقم ١ صحيفة الحقائق حول الأهداف الوطنية التعليمية الأمريكية، وقد أذاعها البيت الأبيض الأمريكي في ٢٦ فبراير ١٩٩٠، للمزيد يمكن الرجوع الى كتاب آليات التخطيط الشامل للإصلاح التربوي، مرجع سابق.

(٢) لقد قام مكتب التربية العربي لدول الخليج بتبني ترجمة وطباعة الوثيقة ونشرها باللغة العربية.

(٣) تراجع كتب، أمة معرضة للخطر، آليات التخطيط الشامل، الاصلاح التربوي في الولايات المتحدة الامريكية، معلمو الغد، مجموعة هولمز، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض وتقرير، هل نجرؤ على منهج جديد لجيل جديد، اليوت سيف. مجلة الثقافة العالمية سنة ١-؛ عدد ١٤٠٣ وغيرها.

إنه رغم أن المسافة بين مسارنا ومسار تلك الأمم طويلة والخطى تتباعد مع كل لحظة. فلا شيء يستحيل للاندفاع نحو الأفضل مع العزيمة والصدق، وأول تحقيق لتلك الرغبة الاهتمام بنظام التعليم العام. فذلك أقرب وأيسر الطرق.

يقول الدكتور الرشيد: (إننا لن نشرع في تربية شعب بأكمله دفعة واحدة، مائة مليون، مائتي مليون، إن ثمة بدايات متواضعة نمتلكها، فهاهو أيضا جيش جرار من التلاميذ يمضي إلينا كل صباح. إننا سوف نقتصر على هؤلاء الذين هم بين أيدينا في بادئ الأمر... أولئك الذين يجلسون على المقاعد مستسلمين ينتظرون ماذا نقول لهم... وكيف نعدهم للمستقبل. فتلك السيقان الصغيرة غداً سوف تتربع على المقاعد وتشغل قيادة المؤسسات والجيوش والجامعات)[1].

والطفل العربي والأمريكي والياباني وغيرهم متقاربون في القدرات والاستعدادات لم يحاب الله شعباً من الشعوب بمورثات جينية أو قدرات خارقة تميزه عن غيره من البشر، وإنما هي التربية والبيئة والإمكانات التي تعمل على تشكيل العقلية المبدعة المتفاعلة والمتخاذلة المنهزمة محدودة الإرادة.

فلا بد من صرخة مدوية في كافة بقاع الوطن العربي تحاكي الصرخة التي دوّت في عهد الإمبراطور الياباني ميجي، ومن مصارحة صادقة وجرأة وموضوعية تشابه تقرير أمة معرضة للخطر الذي تبناه خبراء التربية والتعليم الأمريكي[2].

---

(١) د/ محمد الأحمد الرشيد ـ سباعية الإنقاذ التربوي م. رسالة الخليج العربي عدد ٢٣، ١٤٠٨.

(٢) أمة معرضة للخطر ـ تقرير عن التعليم الأمريكي ترجمة وعرض د/ يوسف عبد المعطي. نشر مكتب التربية العربي لدول لخليج الرياض ١٤٠٤.

لا بد من تحديد جوانب الخلل، والالتزام بالمصداقية والموضوعية في النقد، والعزيمة على التغيير لتظهر الصورة لصانع القرار، وتسهل مهمة واضع البرامج، وإن أول درجات الخلل التي تكتنف نظام التعليم العربي تتمثل في.

أ. مستوى المعلم الذي يمارس هذه المهنة: فالطاقات الفنية التي تمارس مهمة التدريس في مدارس التعليم العام. يفترض ويؤمل فيها إتقان الأداء بصورة جيدة وفق الأهداف المرسومة لها لكن الملاحظ افتقار البعض منهم لمواصفات التأهيل التربوي المؤثر. يظهر هذا الأمر في نوعية ومستوى المناهج المعتمدة في الكليات التربوية، أبسط صورها حجم وسائل وتقنيات التعليم المعتمدة. ومقدار ساعات التدريب العملي. فلا بد من المراجعة المستمرة للخطط و المناهج التي تتم بتوجيه من القرارات ونتائج الدراسات والاستبانات المتتابعة.

وتؤثر نظرة المجتمع لوظيفة المعلم ومكانته بين الوظائف الأخرى، وتلك نتيجة طبيعية وتفسيرية، تعكس المستوى الحضاري القائم للمجتمع العربي، ستضمحل تلك الصورة بمجرد إصلاح الأوضاع التعليمية.

وإن من عوامل الإصلاح. مراجعة شروط وقواعد القبول في الكليات التربوية بدرجة توازي القواعد المعتمدة في بعض الكليات العلمية الأخرى. والتأكيد على غرس مبدأ حب العمل والانتماء، وإدراك حجم الضرر الناجم عن التساهل في الأداء وأثره على الناشئة حاضراً ومستقبلا.

ب. **حجم الساعات المعتمدة للدراسة**. إذا كانت اللجان التي أوكل اليها دراسة وتقييم النظام التعليمي في الولايات المتحدة الأمريكية ترى في نتائج الدراسة التي توصلت إليها أن الوقت المتاح لبقاء الطالب في المدرسة أقل من مما يجب أسوة بالطالب في المدرسة اليابانية مثلاً، فماذا نقول نحن العرب عن اليوم الدراسي الذي لا يتجاوز معدل ساعاته عن ٥ ساعات وعن العام الدراسي الذي يقل معدل أيامه عن ١٧٠ يوماً.

إنه لكي يؤتي الوقت ثمرته داخل الصف لابد من إطالة مدة اليوم الدراسي وتضمينه ساعات عملية ومعملية وحصص نشاط، وتحديد العام الدراسي بمالايقل عن ٢٠٠ يوماً ليتمكن الطالب العربي من استيعاب الأفكار والمعلومات المدونة في المنهج بطرق متعددة، في قائمة تلك الطرق:

- توظيف تقنيات ووسائل التعليم في العملية التعليمية بمفهومها الشامل ومع تجدد أجهزتها وأدواتها.
- اعتماد الساعات العملية الفنية والمهنية كجزء من المنهج العام خاصة لطلبة المرحلتين الإعدادية والثانوية وعدم حصر ذلك على المعاهد الفنية والمهنية الخاصة فقط.
- تكثيف ساعات النشاط المساندة للمقررات الدراسية، والتي لاتقل أهميتها عن المناهج الدراسية النظامية والمحكومة.

ج - **نوعية المناهج والمقررات المعتمدة في خطط الدراسة**. يصعب تناول هذا الأمر في صفحات محددة فضلاً عن أسطر، لكن لابد من مراعاة بعض الأمور التي تحقق الجوانب الإيجابية، من أهمها :

١- ضرورة تكامل المقررات والوحدات الدراسية في التخصص الواحد.

٢- عدم الازدواجية والتكرار للوحدات والموضوعات في المناهج.

٣- عدم الاقتصار على تنمية المهارات المعرفية المجردة وإهمال جانب التطبيق العملي.

٤- زيادة عدد المقررات التي تخدم العلوم التطبيقية والتدريبية الفنية والمهنية في التعليم العام بدرجة توازي أو تفوق عدد المقررات النظرية[١].

٥- توظيف وسائل وتقنيات التعليم، والالتزام بها عناصر الدرس الجوهرية، وقلة الارتباط قدر الإمكان بطرق الإلقاء والشرح النظري داخل قاعة.

---

(١) مع بداية العام الدراسي ١٤١٤ بدأ بتطبيق تخصص العلوم التقنية التطبيقية في المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية بجانب تخصص العلوم الطبيعية وتخصصين نظريين، كما يطبق في الكويت نظام التشعيب، وفي الأردن نظام المدرسة الشاملة القائمة على تعدد المجالات والتخصصات.

٦- بناء شخصية الناشئ العربي من خلال التركيز على الأسس التي تخدم هذا الجانب، وعدم استحواذ المعلم على زمن الدرس ومساره، بل ينتهج مبدأ التغذية الراجعة في التعليم الثنائي الإتجاه قطباه المعلم والطالب معاً، ليتم مشاركة الطالب في تنفيذ الدرس وتترسخ محاوره في ذهنه.

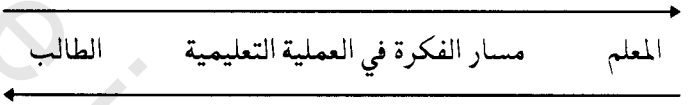

التغذية الراجعة بين المعلم والطالب في العملية التعليمية النموذجية.

٧- الانفتاح على المجتمع وجعل الطالب المنتمي للمدرسة همزة وصل بين المدرسة والمجتمع.

٨- لكي تنجح خطط التعليم وينظر إليها بجد واهتمام من قبل منسوبي التعليم وأفراد المجتمع، يجب الإدراك والقناعة أن التعليم بجميع فروعه ومستوياته يدخل ضمن دائرة القطاعات الاستثمارية في الأمة لاضمن قطاع الخدمات العامة التي لاينتظر منها عائد، بذا نستطيع قياس العائد ونخضع التعليم لمحك الدراسة والنقد والتقويم والتجديد حسب حاجة الأمة. ذلك أن التعليم يعتبر المسؤول الأول - كما سبق - عن مستوى كفاءة العامل ومكانة الأمة.

٩- أخيراً لكي يتحقق العائد المربح من العملية التعليمية. يجب العودة مرة أخرى إلى أهمية ومكانة المعلم، والذي يمثل المحور الأساسي والمؤثر في عملية التعلم، فلا بد من الاهتمام به، ورفع كفاءته قبل وأثناء العمل. إنه لايقل أهمية عن الطبيب والصيدلي والمهندس الذين يخضعون لشروط واختبارات تقييم قبل التحاقهم في الجامعات التي تؤهلهم لذلك.

obeikandl.com

شكر وعرفان

في الختام أتقدم بوافر الشكر والتقدير والامتنان لكل من ساعد على خروج هذا الكتاب إلى حيز النور.

وفي مقدمة أولئك وكالة جايكا بسفارة دولة اليابان في المملكة العربية السعودية، التي زودتني ببعض الصور التوضيحية والأرقام التي ضمنت في فصول هذا الكتاب.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من معالي أ. الدكتور/ محمد بن أحمد الرشيد، وزير المعارف. وسعادة الدكتور/ علي بن محمد التويجري، مدير مكتب التربية العربي لدول الخليج. وسعادة الدكتور/ عبد الرحمن بن عبد الله المشيقح، عضو مجلس منطقة القصيم. الذين أجازوا هذا الكتاب وأبدوا التوصية بطباعته بعد اطلاعهم عليه.

آملاً أن يكون عند حسن ظن الجميع.

المؤلف

obeikandl.com

قائمة بأهم المراجع

أولاً الكتب:

- أبو المجد د/ أحمد كمال ـ المسلمون والعصر ـ كتاب العربي. الكويت رقم التسلسل ١١٤ يناير ١٩٧٨.

- الأنصاري د/ محمد جابر ـ العالم والعرب سنة ٢٠٠٠ دار الآداب ط ١، ١٩٨٥.

- إيشهارا ـ شنتاروا، اليابان لم تقل لا. ترجمة هالة العوري ـ يافا للدراسات والأبحاث ـ القاهرة ١٩٩١

- بو شامب. إدوارد. ر ـ التربية المعاصرة في اليابان ـ ترجمة د/ محمد العليم مرسي ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ط ١

- توفلر. الفين ـ صدمة المستقبل ـ ترجمة محمد علي أبو ناصف ـ دار نهضة مصر ـ يوليو ١٩٧٤.

- توفلر. الفين ـ الموجة الثالثة ـ ترجمة عصام الشيخ قاسم ـ الدار الجماهيرية للنشر والإعلان ط ١، ١٩٩٠.

-حسيب د/ خير الله وآخرون ـ مستقبل الأمة العربية ـ التحديات والخيارات. مركز دراسات الوحدة العربية ط ١، ١٩٨٨.

obeikandl.com

- حسين د/ طه ـ مستقبل الثقافة في مصر ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين ـ دار الكتاب اللبناني. بيروت ط١، ١٩٧٣.

- حسين. عادل وآخرون ـ التنمية العربية. الواقع الراهن والمستقبل .مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت لبنان ط٢، ١٩٨٥.

- حنفي. محمد سيد أحمد ـ الأمن الغذائي في الوطن العربي حتى عام ٢٠٠٠ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ـ ط١، ١٩٨٥.

- رايشاور. أدوين ـ اليابانيون ـ سلسلة عالم المعرفة رقم الكتاب ١٣٩ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت، شعبان ١٤٠٩.

- زحلان. إنطوان ـ العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي.. مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت لبنان ط٢، ١٩٨٢.

- زهران. سعيد ـ العالم الثالث يفكر بنفسه ـ دار بن رشد للطباعة والنشر ط١، ١٩٨١.

- سفر د / محمود محمد ـ إنتاجية مجتمع ـ دار الكتاب السعودي. تهامة للنشر والتوزيع ط١، ١٤٠٤.

- شازال. جان ـ حقوق الطفل ـ ترجمة ميشال أبي فاضل. سلسلة زدني علما.

- شوت. بات ـ السادة الجدد ـ ترجمة أحمد كساب، طلعت حسن ـ مكتبة مدبولي ١٩٩٥.

- صادق. دولت أحمد ـ جغرافية العالم الإقليمية ج ١ ـ آسيا وأوروبا ـ مكتبة الأنجلوا المصرية ط١، ١٩٧٠.

- عبد الرحمن. إبراهيم حلمي وآخرون ـ تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي ـ ندوة ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت لبنان ديسمبر ١٩٨٥

- عزي. د/ بهاء حسين ـ العالم إلى أين والعرب إلى أين ـ دار الكتاب السعودي. تهامة للنشر والتوزيع ط١، ١٤٠٤.

- كان. هيرمان ـ العالم بعد مائتي عام ـ ترجمة شوقي جلال ـ عالم المعرفة رقم الكتاب ٥٥ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. شوال ١٤٠٢

ـ كرم. أنطونيوس ـ العرب أمام تحديات التكنولوجيا ـ عالم المعرفة رقم الكتاب ٥٩ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. صفر ١٤٠٢

- الكرمي. زهير ـ العلم ومشكلات الإنسان المعاصر ـعالم المعرفة رقم الكتاب ٥ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. ط٢

- لستر ثرو. رأساً برأس. ترجمة فايز حجاب ـ دار الهلال ـ القاهرة ط ١، ١٩٩٣.

- النابلسي. شاكر ـ الثقافة الثالثة ـ دار العصر الحديث للنشر والتوزيع ـ ط ١، ١٤٠٨.

- نعمان. فاروق ـ عالم بلاحدود ـ كتاب الشرق الأوسط. المجموعة الأولى.

ثانياً الدراسات والتقارير والبحوث:

- التنمية العربية. مركز دراسات الوحدة العربية ـ مشروع استشراف المستقبل ـ ندوة.

- أمة معرضة للخطر ـ تقرير عن التعليم الأمريكي ـ ترجمة وعرض يوسف عبد المعطي ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض ١٤٠٤.

- اليابان اليوم ـ شركة الجمعية الدولية للمعلومات التربوية ـ طوكيو ١٩٩١، مترجم.

- المشيقح. عبد الرحمن صالح ـ بعض معوقات البحث العلمي في العالم العربي ـ بحث مقدم للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية ـ جستن ـ جامعة الملك سعود ـ كلية التربية ـ اللقاء السنوي الرابع. التعليم العالي بين الواقع والتطلعات ـ الرياض ١٦-١٩/١١/١٤١.

- المشيقح. عبد الرحمن صالح ـ بعض التحديات التي تعيق الإستفادة من التقنيات التربوية الحديثة ـ بحث مقدم لندوة التقنيات التربوية بين المطالب والتحديات ـ جامعة الملك سعود ـ كلية التربية، ٦-٨/١١/١٤١٣.

ثالثاً الدوريات:

- الإنصاري. محمد جابر ـ مجلة الدوحة. قطر. عدد مايو ١٩٨٢- سر البداية في الإنطلاقة اليابانية.

- الإنصاري. محمد جابر ـ مجلة الدوحة. قطر. عدد أغسطس ١٩٨٣. من المحرقة إلى العملاق الثالث.

- التويجري. د/ علي بن محمد ـ رسالة الخليج العربي عدد (٢٨) ١٤٠٩- هكذا تتحدث القوى الكبرى.

- التويجري. د/ علي بن محمد ـ رسالة الخليج العربي عدد (٣١) فن الممكن في التربية.

- الرشيد د / محمد الأحمد ـ رسالة الخليج العربي عدد(٢٥) ١٤٠٨ من معالم استشراف القرن ٢١

- الرميحي. محمد ـ مجلة العربي. الكويت ـ عدد (٤١٤) ١٤١٣- المعلوماتية العربية.

- سعيد د/ إبراهيم أحمد ـ شئون عربية. عدد (٦٦) يونيه ١٩٩١ ـ نظرة جغرافية على مشكلة الأمن الغذائي.

- عمران. د/ كامل ـ شوال ١٤١٣ دور العلم والثقافة في تنمية القدرالذاتية العربية.

obeikandl.com